



إن تفاضل الأعمال عند الله تعالى بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص والمحبة وتواضعها. وهذا العمل الكامل هو الذي يكفر السيئات تكفيراً كاملاً، والناقص بحسبه.

فليت العبد إذا أتى بهذه المكفرات كلها أن تكفر عنه سيئاته باجتماع بعضها إلى بعض، فعمل شمله الغفلة أو لأكثره. وفقد الإخلاص الذي هو روحه، ولم يوف الله حقه ولم يقدره حق قدره: فأي شيء يكفر هذا؟

وليس الشأن في العمل، إنما الشأن في حفظ العمل مما يفسده ويحبطه، فالرأيه وإن دق محيط للعمل، وكون العمل غير مقيد باتباع السنة أيضاً موجب لكونه باطلاً، والمؤمن بالله تعالى يقبله مفسد له. وأكثر الناس ما عندهم خبر من السيئات التي تحبط الحسنات، وقد قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون).

فحذر المؤمن من حبوط أعمالهم بالجهر لرسول الله ﷺ كما يجهر بعضهم لبعض، وليس هذا بحسبة، بل معصية تحبط العمل وصاحبها لا يشعر بها، فما الظن بمن يرفع على قول الرسول ﷺ وهدية وطريقه قول غيره وهدية وطريقه؟ اليس هذا قد حبط عمله وهو لا يشعر؟

فمعرفة ما يفسد الأعمال في حال وقوعها ويبطلها ويحبطها بعد وقوعها من أهم ما ينبغي أن يفطن عليه العبد، ويحرص على علمه، ويحذره، فإن الحسنات والسيئات تتدافع وتتقابل، ويكون الحكم فيها للغالب، وهو يقهر الغلوب ويكون الحكم له، فإذا غلبت على العبد الحسنات رفعت حسناته الكثيرة سيئاته، ومضى تاب من السيئة ترتبت على توبته منها حسنات كثيرة قد تزيد على الحسنات التي حبطت بالسيئة، فإذا أزممت التوبة وصحت، ونشأت من صميم القلب أحرقت ما مرت عليه من السيئات، حتى كأنها لم تكن، فإن التائب من الذنب لا ذنب له، فهكذا إذا تاب العبد توبة نصوحاً صادقة خالصة أحرقت ما كان قبلها من السيئات، وأعدت عليه ثواب حسناته.

يوضح هذا أن السيئات هي أمراض قلبية، كما أن الحمى والأوجاع أمراض بدنية، والمرض إذا عوفي من مرضه عافية تامة عادت إليه قوته وأفضل منها، حتى كأنه لم يضعف قط، فالقوة المتقدمة بمنزلة الحسنات، والمرض بمنزلة الذنوب، والصحة والعافية بمنزلة التوبة سواء بسواء. وكما أن من المرضى من لا تعود إليه صحته أبداً، لضعف عافيته، ومنهم من تعود صحته كما كانت، لتقاوم الأسباب وتنافعها ويعود البدن إلى كماله الأول، ومنهم من يعود أصح مما كان وأقوى وأنشط، لقوة أسباب العافية وقهرها وغلبتها لأسباب الضعف والمرض، حتى ربما كان مرض هذا سبباً لعافيته، كما قال المتنبي:

لعل عتبك محمود عواقبه وربما صحت الأجسام بالعلل

فهكذا العبد بعد التوبة على هذه المنازل الثلاثة، والله الموفق لا إله غيره، ولا رب سواه.

اللهم إنا نسألك من الخير كله، عاجله وآجله، ما علمنا منه وما لم نعلم، ونعوذ بك من الشر كله، عاجله وآجله، ما علمنا منه وما لم نعلم، اللهم إنا نسألك من خير ما سألك عبدك ونبيك ﷺ، ونعوذ بك من شر ما آذ به عبدك ونبيك ﷺ، اللهم إنا نسألك الجنة، وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار، وما قرب إليها من قول أو عمل.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، في العالمين، إنك حميد مجيد.



شهر الانتصارات

معركة التوبة..

فتح من الفتوحات الرمضانية

5 - في مقابل ذلك لهم عند المسلمين أمان فلا يحاربونهم ولا يغزونهم. وقد قيل إنه فسي مقابل الرقيق الذي يأخذه المسلمون منهم يعدونهم بدلا منه قمحا وعدسا، هذا كان العهد الذي تم بين المسلمين وأهل التوبة، وقد رفع هذا الصلح إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه.

وإن هذا العهد - إن أمعنا النظر فيه وتاملناه جيدا - نرى في بؤده معالم السياسة الشرعية الإسلامية، ومعالم واضحة للعلاقات الخارجية للدولة الإسلامية.

فنرى أن رد النوبيين المسلم المحارب للمسلمين وإخراجه من ديارهم يعد أمرا مهما جدا، فهو يمنع من تكتل وتجمع الخارجين عن النظام الشرعي للدولة الإسلامية وعلى ولاة الأمر الذين يحكمون بما أنزل الله، وبالتالي لا تكون هذه الجهة مركزا للاعتداء على الدولة الإسلامية من بعض الأفراد الخارجين على ولاة الأمر، وبالتالي حماية الدولة الإسلامية والتأكيد على وحدتها.

ونرى أن حفظهم للمسجد الذي بناه المسلمون في فناء المدينة هو الأثر الأهم والنتيجة العظمى لهذا الصلح الطيب، فوجود المسجد وعدم التعرض للمسلمين في المدينة يعني انتشار الإسلام بين الناس، ولأن المسجد في الإسلام مكانته عظيمة وهو منطلق الدعوة ومركزها، وكان أول شيء يقوم به المسلمون في أي مكان يدخلونه هو بناء المسجد، اقتداء بنبيهم ﷺ الذي بنى مسجدا بالمدينة بمجرد وصوله إليها، ومع اشتراط حفظهم لمن يدخل بلادهم من المسلمين فهذا يعني انتشار الإسلام بسهولة ويسر، حيث إن تجار المسلمين والمسافرين الذي لا يتوقفون عن الحركة على مدار العام سيعملون على دعوة الناس إلى الإسلام، في حين أن هؤلاء الدعاة من التجار وغيرهم يكونون في مامن، طالما كانوا في أرض

من ضمن المعارك والفتوحات العظيمة التي حفل بها شهر رمضان المبارك معركة فتح التوبة التي حدثت في العام الحادي والثلاثين من الهجرة النبوية المباركة، والتي كان من أهم آثارها معاهدة القبط التي كانت فاتحة خير على المسلمين في البلاد الأفريقية.

لما قسام عمرو بن العاص بفتح في مصر في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، أرسل عمرو بن العاص حملة عسكرية بقيادة عقبة بن نافع لفتح بلاد التوبة التي تقع في جنوب مصر، لكن المسلمين فوجئوا في هذه المعركة بأن النوبيين يجيدون رمي السهام، فقد أصاب النوبيون من المسلمين عددا كبيرا بتلك السهام، وأصيب كثير من المسلمين في حديق عينهم من جراء النبل، فسموا (رماة الحدق).

وكان من نتيجة هذه الحملة أن تم التوافق على هدنة بين المسلمين والنوبيين، واستمر الصلح حتى كان عصر خلافة أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه، وكان قد عزل عمرو بن العاص عن مصر وولى مكانه عبدالله بن أبي السرح، فنقض النوبيون الصلح وهاجموا صعيد مصر، فما كان من ابن أبي السرح إلا أن خرج في جيش تعدده عشرون ألف مقاتل، وسار إلى دنقلة عاصمة النوبيين وحاصرها وضربها بالمنجنق حتى استسلموا وطلبوا الصلح.

وتصالح المسلمون والنوبيون في شهر رمضان من العام الحادي والثلاثين بعد الهجرة على بنود من أهمها:

- 1 - حفظ من نزل بلادهم من مسلم أو معاهد حتى يخرج منها.
- 2 - رد من لجأ إليهم من مسلم محارب للمسلمين وإخراجه من ديارهم.
- 3 - حفظ المسجد الذي بناه المسلمون في فناء المدينة وألا يمنعوا منه مسلما.
- 4 - أن يدفعوا للمسلمين كل عام ثلاثمائة وستين رأسا من أوسط رقيق بلادهم، وكان القوم مشهورين بكثرة الرقيق عندهم.



صفات ينبغي توافرها في المصلح لذات البين

الإصلاح عنوان الإيمان، ومنبع الأمان، ومصدر الراحة، قال تعالى: (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) (الحجرات: 10).

إن عليان مراحل القطيعة في المجتمع لاسيما بين أبناء الأسرة الواحدة وذوي الرحم والقربى أدواء فتاكة إذا تمكنت من جسد المجتمع فتكت به، وشتت شمله، ومزقت جمعه، لهذا اهتم الإسلام بالدعوة إلى الصلح بين أفراد الأسرة المسلمة عند وجود الخلافات الأسرية وبالأخص عند الزوجين قال تعالى: (وإن خفتن شقاق بينكما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدوا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيراً) (النساء: 35).

فالإصلاح بين الناس منزلة الكبيرة، وأثره الإيجابي متعدد، إذ تنعكس نتائجه على المجتمع ككل، ثم على الأمة الإسلامية جميعا، وبغير ذلك تزيد المشاكل، ويضعف المجتمع وتنهار القيم، ويسقط البعض في هاوية الجريمة.

وقد رغب الإسلام في الإصلاح بين الناس وجعل ذلك من التجارة الربحية. عن أنس رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال لأبي أيوب: «ألا أتلك على تجارة؟»، قال: بلى، قال: «صل بين الناس إذا تقاسدوا، وقرب بينهم إذا تباعدوا» رواه البزار، وحسنه العلامة الألباني.

ولا شك أن للمتصدي للإصلاح بين الناس صفات ينبغي توافرها له منها:

1 - إخلاص النية لله تعالى:

أن يبذل المصلح نفسه عن الرياء والسعفة، ولا يقصد بفعله التروؤس وارتفاع الذكر والجاه، أو تعظيم الناس له، أو سلما يتوصل به إلى الأغراض الدنيوية، بل يقصد بذلك وجه الله سبحانه لتحقيق ما أمر الله به.

ومما يجب على المصلح أن يتذكر أن ما يقوم به إنما هو لوجه الله سبحانه، وسواء تحقق على يديه الإصلاح أو لم يتحقق، وكذلك لا ينتظر شكر التقاض من أحد، ومن قصد غير الله خسر صفقه وضاع أجره، وحرم التوفيق.

2 - كتم أسرار المتخاصمين:

المصلح الموفق من يسلك طريق النجوى، وهو السر دون الجهر، لأن الخلاف كلما ضاق الحديث فيه كلما كان من السهل القضاء عليه، ولعل فشل بعض القضاي عند المصلحين إفشاء الأخبار وتسرير الأسرار، قال تعالى: (لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيماً) (النساء: 114).

وأكثر الناس يتأذى من نشر أخباره، ومشكلاته، والمصلح البصير من يتحرى الحكمة في نصحه حتى لا تتفقد المسائل ولا تزيد المشاكل.

3 - أن يكون ذا حلم وصبر وسخاء:

القائمون على الإصلاح بين الناس يحتاجون إلى الوقت الكبير، وربما دعت الحاجة إلى وليمة وزيارات متكررة، واستماع قول المتخاصمين، وربما دعت الحاجة إلى إحضار المتخاصمين فيقول المجلس بالكلام، مما يستدعي المصلح إلى الصبر والحلم حتى لو تم اتهامه بعدم الإنصاف والسخاء بوقته وقوله وماله، ومن جرب القيام بذلك يدرك كم من الوقت والجهد يبذل لتحقيق ما يصبو إليه، فعليه أن يتحسب ذلك لله تعالى، ومن رام الأجر صبر.

4 - بذل المال:

إن دعت الحاجة إلى بذل المال جاد به تقريبا وحلا لذات البين، فإن ذلك من أعظم الأجر، بل أجاز العلماء أن يأخذ من مال الرزقة إن دعت الحاجة، وأن يعطى المصلح من الصدقة إذا تحمل إصلاح بين جماعتين أو قبيلتين أو قرابتين أو أخوين أو زوجين ونحو ذلك، فالمصلح جدير بأن يعان.

عن قبيصة بن المخارق قال: قال رسول الله ﷺ: «يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل يحمل حملة فحللت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسه» رواه مسلم (1044).

والحمالة هي المال الذي يتحملة الإنسان، أي: يستدينه ويدفعه في إصلاح ذات البين.

4 - العلم الشرعي:

به تحل المشكلات، ويعرف الحلال من الحرام، وبه تعرف الحقوق ومسائل الخلاف كثيرة ومتشعبة، منها أحوال شخصية، ومنها مالية، ومنها دينية، وغيرها كثير، وكل ذلك بحاجة إلى علم ودراية بعلم الشريعة ومعرفة بأحكامها.

5 - الدراية بالواقع الاجتماعي والنفسي:

جميل جدا أن يكون المصلح على دراية بالواقع الاجتماعي وعادات المجتمع وتصرفاته، ومعرفة شخصيات الناس، وأنشط السلوك لديهم، ومرآل النمو عندهم، والمشكلات التي تعترضهم، والصفات الشخصية، وبعض الدول أنشأت مراكز لإصلاح ذات البين، ودعت الضرورة لإيجاد باحثين اجتماعيين ونفسيين وشرعيين حتى يسهل عندهم العلاج، وإذا كان المصلح ملما بهذه الفنون سهل حل كثير من المشكلات.

ولا بأس بالاستعانة بأهل الخبرة واستشارتهم والاستفادة من خبرتهم، وبالأخص العلماء والعقلاء الكبار، أهل التجربة والحكمة والرشاد، بل لا يستنكف من الاستفادة ممن هو دونه علما أو سنا إذا حاز الخبرة.

من روائع الخط العربي



حول ولا قوة إلا بالله

الخطاط وليد نصوح الداية من لبنان، عمد الخطاط الي كتابة بعض الحروف معكوسة مثل حرف «و، ة، ل» ليحقق التناظر في التركي بالخط الكوفي.

